إن المرحلة الثانية من غزو البرابرة(الجرمان) للإمبراطورية يتمثل في غزوات القوط الشرقيين والفرنجة

1-**القوط الشرقيون** ظهروا للوجود في اواخر القرن5م بايطاليا وكان تحركهم باتجاه نهر الدانوب نتيجة الغط الهوني المتواصل وبعد وفاة زعيم الهون اتيلا تحرر القوط الشرقيون، حينها ظهرت شخصية ثيودريك، وفي سنة 488م تمكن الإمبراطور البيزنطي زينو من إقناع قائد القوط بالتحرك باتجاه ايطاليا ليضغط على ادواكر زعيم الهيرول إضافة إلى بسطة الامبراطور على هذه المنطقة، وبهذا تمكن ثيودريك من القضاء على اودواكر سنة493م وبسط نفوذه على المنطقة تحت راية الإمبراطور الشرقي ومن قصره في مدينة فيرونا اصدر قوانين تساوي بين الرومان والقوط الشرقيين، وحاول بعث الحكومة الرومانية كما أنه عمل على احياء الزراعة والفنون والأدب في الولايات، وبهذا استطاع ثيودرريك ايجاد مملكة بربرية على ارض الرومان ويصف دوارد جيبون ثيودريك بأنه كان مثالا نادرا لرجل متبربر وضع سيفه في غمده وهو في عز نصره وريعان شبابه. ولكن اطماعه التوسعية أزعجت الامبراطور، حيث بدأ يوطد علاقاته الخارجية بأن تزوج من أخت كلوفيس ملك الفرنجة كما زوج ابته إلى ملك البرجنديين وتولى بدوره الوصاية على عرش القوط الغربيين في اسبانيا، ولذا قام الإمبراطور بالاعتراف لكلوفيس على غالة للتفرغ للقوط. ونتيجة لسياسة ثيودريك ازدهرت الحياة الثقافية في مجالات الموسيقى والرياضة والتمثيل، كما تم تشييد القصور والكنائس ورممت المباني العامة، كما ازدهرت التجارة والزراعة. وبالرغم من أنه كان أريوسي المذهب الا انه تسامح مع الآخرين وأعترف البابا على الكنيسة الكاثوليكية وعلى مدينة روما. وفي آخر ايام حكمه لايطاليا واجه عدة متاعب وهذا بعد معاقبته للكاثوليك الثائرين، كما انه جرد الايطاليين من اسلحتهم وردا على الإمبراطور الذي اصدر قانونا بتبعية الاريوسيين للكنيسة وبهذا اصدر ثيودريك امرا بحظر ممارسة الديانة الكاثوليكية، كما انه امر باعدام الفيلسوف بويثيوس الذي كان ضد الطغيان البربري وبموته سنة 526م تدهورت مملكته التي قسمت بين حفيديه.

2- **مملكة الفرنجة486-751م** ظهر الفرنجة في أواخر القرن 5م وهذا ما يشير إليه جريجوري التوري صاحب كتاب (تاريخ الفرنجة) الذي كتبه في أواخر القرن6م. والفرنجة قسمان: **القسم الأول**: هم الفرنجة البحريون(الساليون) نسبة إلى نهر سالا غرب ووسط

المانيا وهم الأكثر قوة وفاعلية، أما **القسم الثاني** فهم البريون كان وجودهم على طول نهر الموزل الأدنى. استطاع الفرنجة أن يؤسسوا كيانا سياسيا كان له الأثر الأكبر في التاريخ الأوربي وخاصة الفرنسي والألماني. ونذكر خصوصا **الدولة الميروفنجية** التي تنسب إلى البطل الأسطوري ميروفيتش،ومن أشهر ملوكها كلوفيس(486-511م) حيث وصفه المؤرخ جريجوري التوري بالهمجية والوحشية وكقائد عسكري شديد المراس والدهاء. انتصر على الرومان في شمال غالة كما انتصر على قبائل الألماني في شرق الراين والقوط الغربيين في تولوز. توطن كلوفيس في غالة اتخذ باريس عاصمة له. وبالرغم من أن الميروفنجيين أسسوا مملكتهم إلا أنهم عجزوا عن إدارتها ووضعوا السلطة في يد الارستقراطية، كما أن الدولة يتم تقسيمها كإرث وهذا له أثره السلبي على مصيرها حيث أصبحت في صراع دائم، بالإضافة إلى فرض الضرائب على السكان دون خدمة يقدمها الملوك وبهذا برز نفوذ آخر يتمثل في نظار القصور في الدولة وتهميش الملوك بحيث أصبحت السلطة الفعلية لهؤلاء النظار.

3- **خلفاء كلوفس 511-751م** تشكلت الدولة الميروفنجية من قسمين هما القسم الشرقي(اوستراسيا) يغلب عليه الطابع الجرماني نتيجة قربه من موطنه الأصلي أما القسم الغربي(نوستريا) فيغلب عليه العنصر الروماني بسبب بعده عن موطنه، وبوفاة كلوفس بدا الضعف يدب في المملكة بحيث تم تقسيمها إلى أربعة ممالك وظهور نفوذ آخر كان لنظار القصور major domo سطوة عليه. وقد تطور دور ناظر القصر وأصبح يتحكم في زمام الأمور في ظل ضعف الدولة، بل أصبح منصب ناظر القصر وراثيا وازداد نفوذه منذ سنة687 إلى غاية751م. ويضيف المؤرخ ساليفان إلى العوامل السابقة عامل آخر وهو اعتمادها على القوة لتحقيق الغايات السياسية، كما سجل المؤرخ جريجوري التوري في كتابه تاريخ الفرنجة أن النساء الميروفنجيات لم يسلمن من هذه الوحشية والقسوة فشاركن في أعمال القتل والمؤامرة والصراع على العرش مما انعكس على الملوك أنفسهم. ولم يستطع الملوك تطبيق الإصلاح بسبب تعدد العادات والطقوس الدينية وتنوع الثقافة ويستحيل تطبيق سياسة موحدة على مختلف العناصر المكونة للمجتمع حتى أصبحت هذه الفترة تتسم بالفوضى السياسية.

إن اضمحلال الدولة الميروفنجية سيهيئ لبداية مرحلة جديدة في تاريخ الفرنجة في غالة وجوارها، فبظهور وظيفة ناظر القصر الذي يشرف على تسيير أمور البلاط بل ازداد نفوذه وأصبح يدير الأراضي الملكية وتنظيمها، وأصبح بمثابة الوزير الأول في المملكة وصار له الإشراف على الإيرادات وتوزيع الهبات والوظائف. ومن ابرز نظار القصر الميروفنجي نجد:

1- **ببين هرستال** : كان ناظرا للقصر في عهد الملك الميروفنجي شيلدبرت الثاني في الجزء الشرقي من الدولة. وبرزت مكانته عندما انتصر على الجزء الغربي(نوستريا) بين سنتي 681-687م بحيث أصبح له فئة موالية اقطعها الأراضي مقابل الخدمة العسكرية وألزمهم بيمين الولاء، كما كانت له فكرة الوقوف الى جانب البعثات التنصيرية للقبائل الجرمانية على يد **فيلبرود** الذي أعطاه ببين مركزا بمنطقته وهذا ليظهر بمظهر المؤيد للكنيسة لتقف الى جانبه فيما بعد.

2- **شارل مارتل**(714-741م) وصل إلى منصب ناظر القصر بعد صراع داخلي، يلقب بالمطرقة لأنه تمكن من الانتصار على أعدائه في الداخل والخارج وخاصة انتصاره على المسلمين سنة732م، اعاد تنظيم الجيش واستبدل المشاة بالفرسان كعنصر اساسي في الجيش الكارولنجي وبهذه الطريقة ومنح الاراضي ويمين الولاء ضمن ولاء الطبقة الجديدة من الافصال التابعين له. خاض شارل مارتل حملات مداهمة ضد السكون والفريزيين والالماني والبافار وتمكن من الانتصار عليهم. واكبر انتصار عزز مكانته في اوربا نجد انتصاره على المسلمين في جنوب غالة بقيادة عبد الرحمن الغافقي سنة732م. وبوصول المسلمين الى اقليم اكيتانيا استنجد حاكمها بشارل مارتل فاعد قواته لمواجهة المسلمين الذين يهددون مملكته. وفي جانب آخر وطد علاقته بالبابوية حيث ارسل اليه البابا جريجوري الثالث731-741م مفاتيح قبر القديس بطرس مع دعوته للقدوم الى ايطاليا وانقاذها من اللومبارديين. ومهما يكن من امر فإن جسور التواصل بين البابوية والدولة بدأت تتوطد أركانه التي يكون لها اثر على التاريخ الأوربي فيما بعد.

3-ببين الثالث(القصير) وكارلومان: بعد وفاة شارل مارتل آل الحكم إلى أبنيه ببين القصير وكارلومان غير أن هذا الاخير تنازل عن الحكم سنة 747م وأصبح راهبا في دير مونت كاسينو. وبما ان البابوية بحاجة إلى مساعدة ببين لطرد اللومبارديين من ايطاليا وجدت ظالتها فيه الذي اختير ملكا على الفرنجة بموافقة البابوية، وفي احتفال ديني قام الاسقف بونيفاس ممثل البابا في فرنسا بمسح ببين بالزيت المقدس وترسيمه ملكا للغرب الاوربي. وبهذا انتهى دور المملكة الميروفنجية اواخر سنة 751م ويبدأ عهد **المملكة الكارولنجية** التي يكون لها شأن عظيم في التاريخ الاوربي وفي نفس الوقت سيعلو شأن البابوية وظهور دورها كقوة سياسية. وفي سنة 754م انتقل

البابا بونيفاس الثاني الى منطقة غالة يطلب المساعدة ضد اللومبارديين فاستقبله ببين القصير وفي كنيسة القديس دونيس اقيم احتفال وقام البابا بمنح الملك لقب **حامي الكنيسة**. وفي سنتي 755م756م قام ببين القصير بحملة على ايطاليا وعلى اثرها استرجع اقليم رافنا وسلمه للبابوية، كما أعطى للبابوية ما يعرف باسم **هبة ببين** واصبحت وثيقة رسمية في النزاع مع السلطة العلمانية(الامبراطورية)، وهكذا توطدت العلاقة بين البابوية والكارولنجيين والتي تطورت فيما بعد في عهد شارلمان والذي بها سيعيد احياء الامبراطورية الرومانية المقدسة.

4-**الدولة الكارولنجية في عهد شارلمان**(768-814م): توفي ببين القصير سنة 768م فقسمت الدولة بين ولديه شارلمان وكارلمان غير ان هذا الاخير توفي سنة771م فضم شارلمان املاك اخيه، وبرع في شؤون التسيير والادارة داخليا وخارجيا كونه سياسيا وعسكريا. وفي سياسته الخارجية اتبع سياسة التوسع على حساب جيراته حيث تم ضم اقليم اكويتين كما انه تصدى للومبارديين والسكسون اضافة الى حروبه ضد البافاريين والمسلمين في الاندلس وحسب مايروي لنا اينهارد(ت.840م) مؤرخ شارلمان وبعض المصادر الاسلامية فإن مجموعة من الامراء المسلمين في الاندلس كانوا يرون بأن عبد الرحمن الداخل(138-172هـ/756-788م) مغتصبا للحكم ولم فشلوا في استرجاعه طلبوا مساعدة شارلمان. وفي سنة 777م اتصل عبد الرحمن بن حبيب الفهري وسليمان بن يقظان الكلبي حاكم سرقسطة بشارلمان لقتال عبد الرحمن الداخل. حيث يقوم سليمان بن يقظان بتسليم سرقسطة الى شارلمان وفي الوقت نفسه يقوم عبد الرحمن الفهري بحصار مدينة مرسية وبهذا يتمكنوا من القضاء على عبد الرحمن الداخل. وفي سنة 778م اتجه شارلمان بجيشه الى سرقسطة ولكن الحظ لم يحالفه اذ ان سرقسطة قاومت بضراوة واثناء تراجع قوات شارلمان وانسحابها باتجاه موطنها عبر جبال البرانس قام الباسك بالهجوم على مؤخرة جيشه والحقوا بها شر هزيمة قتل فيها قائد المؤخرة **رولان حاكم اقليم بريتاني** بفرنسا في معركة عرفت باسم رونسفو في 15اوت778م. ولم ينته الصراع عند هذا الحد بل ان شارلمان في سنة 795م ارسل جيشا الى الساحل الشمالي الشرقي من اسبانيا بل انه امن الجهة الجنوبية لاوربا من هجوم المسلمين.

5-**احياء الامبراطورية الرومانية المقدسة سنة 800م** في ظروف تميزت بالصراع بين رجال الدين وفرض سطوة بعض منهم حيث حاولوا عزل البابا ليون الثالث795-816 وانتخاب آخر يعمل لصالحهم، في الوقت نفسه حدث ان تم عزل امبراطور الشرق قسطنطين السادس وتولى امه ايرين797-820م الحكم كل ذلك زاد من قلق الغرب اللاتيني. ولم يكن حينها سوى شخصية شارلمان الذي كانت له طموحات حيث سار باتجاه روما وتزامن ذلك مع عيلاد الميلاد لسنة 800م اجتمع الناس بكنيسة القديس بطرس للاحتفال وظهر البابا ليون يتلو القداس. وفي نهاية ذلك قام البابا بوضع تاج الامبراطورية على رأس شارلمان فهتف الحاضرون بشارلمان اوغسطس المتوج بأمر الله الامبراطور العظيم ، كما قام البابا وألبس شارلمان العباءة الامبراطورية.

اما فيما يخص سياسته الداخليه فقد كانت حكومته دينية فقد تم مشاركة الكونت والاسقف في شؤون الادارة في جميع الكونتيات 300 وفي حالة ارسال مبعوثين كان الاسقف ورؤساء الاديرة هم اصحاب المهمة اما

في مايخص الشؤون المالية والادارية فقد وضع نظام مضبوط للعملة في الاوزان والمكاييل ودور لسكها واصدر تشريعا يحرم الربا وحدد اسعار الحبوب كالقمح وعزز مكانة النقابات التي تعمل بقوانين الدولة وشدد الحراسة على الطرق الداخلية لحماية المسافرين والتجار.

6- **النهضة العلمية في عهد شارلمان:** كان في مقدمة روادها الانجليزي الكوين735-804م رئيس مدرسة يورك عينه شارلمان مديرا لمدرسة القصر الملكي في مدينة آخن(اكس لاشابيل) واصبح الكوين مرجعا للملك في سياسته التعليمية ومستشارا له في الامور الكنسية بل عهد اليه مراجعة الكتاب المقدس وكتب الصلوات وبهذا اصبح الكوين رائد حركة الاصلاح في الطقوس الدينية الكارولنجية. تمكن شارلمان بمساعدة الكوين من جعل مدرسة القصر نموذجا ثقافيا لاوربا الغربية واعتمد الكوين في تعليمه على الطريقة الكلاسيكية يشتمل على الفنون السبعة وهي النحو والمنطق والخطابة والموسيقى والحساب الهندسة والفلك. ونشطت الحركة العلمية والثقافية بالمدرسة واصبح شارلمان وزوجته الرابعة ليوتجارا وابناؤه ومؤرخه اينهارد ضمن طلاب المدرسة، كما كانت هناك مدارس اخرى الى جانب مدرسة القصر مثل المدرسة التي اسسها الكوين بعد انسحابه من مدرسة القصر سنة787م هذا بالاضافة الى المدرس المتخصصة التي امر بتأسيسها الملك سنة 789م.

-7- **معاهدة فردان سنة 843م واضمحلال الامبراطورية:** اتسعت الامبراطورية التي اسسها شارلمان وازدادت قوة ونفوذا وبعد موته سنة 814م بدا الضعف يدب فيها بسبب عامل التقسيم بين الابناء ولكن بوفاة اثنين وبقاء الثالث الا وهو لويس التقي (814-840م) زاد من عمر المملكة، غير ان ابناء لويس تنازعوا ملك ابيهم وبموجب معاهدة فردان سنة 843م تقاسم الابناء هذا الارث بحيث اخذ شارل الاصلع نستريا واكويتين والولايات الاسبانية اما لويس الجرماني فقد اخذ شرق الراين من استراسيا وبافاريا وسكسونيا بينما اخذ لوثير الجهة الوسطى من فريزيا الى دوقية اللومبارديين مع اللقب الامبراطوري. وعليه فان معاهدة فردان وضعت حدا للنزاع وفي نفس الوقت كانت بداية لنهاية امبراطورية. وبداية ظهور تشكل الدولتين الفرنسية والالمانية بحيث ظهرت اسر اخرى تحكم المنطقتين أسرة كابيه في فرسا888-1137م والاسرة السكسونية في المانيا 919-1056م.